فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٤١)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــــائِر وَتَبْيينِ الْمَحَارِم

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ التَّاسِعة والثَّلاثون: اللَّعَّـان

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـــٰن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفســـنا وســـيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـــٰه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى الله وسَلَّم عَلَيه وَعَلى آلِه وأصحَابِه أجمَعين-.

أما بعد،

فنواصل القراءة في كتاب الكبائر للذهبي ووصلنا إلى كبيرة اللَّعَـــان.

[المتن]

الكَبِيرَةُ التَّاسِعة والثَّلاثون

اللَّعَّان

قَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:((لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ)) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[الشرح]

قال المصنف -رَحِمَهُ الله-: (**الكَبِيرَةُ التَّاسِعة والثَّلاثون: اللَّعَّان**) أي من هو صاحب لعن يجري على لسانه، اللعن، لعن المسلمين، واللعن: هو دعاء على الملعون بالطرد والإبعاد من رحمة الله -عـــزَّ وجلَّ-، وليس هـــٰذا من شأن المؤمن الذي قام في قلبه الرّحمة والشفقة والمحبة والإحسان، قال -عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام-: ((**إنّما بُعثتُ رحمة**))، فمُقتضى الرّحمة الدعاء للمسلم لا الدعاء عليه، الدعاء لـــه بالخير، بالصلاح، بالاستقامة، لا الدعاء عليه باللعن والطرد والإبعاد من رحمة الله وحلول غضب الله عليه؛ فصفة المؤمن الشفقة والرحمة؛ ولهـــٰذا يأتي عند المصنف قول النبي -صلّى اللهُ عليهِ وســـلَّم-: ((**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلاَ اللَّعَانِ**))؛ أي ليس هـــٰذا من صفات أهل الإيمان، ولا يُبادر إلى اللعن، لا لعن الناس ولا لعن الدواب ولا لعن الأشياء، وإنما على الإنسان الدعاء بالخير لا الدعاء بالشرّ.

فهـــٰذه ترجمة في بيان هـــٰذه الكبيرة، كبيرة اللعن، وأن من يجري على لسانه اللعن ويُبادر إليـــه هـــٰذا مرتكب لكبيرة عظيمة وجُرم كبير.

ثم أخذ يسوق من النصوص ما يدلّ على خطورة اللعن، لعن المسلم، فذكر أولا قول النبي -عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام- (("**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**" **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**)

لعنه: أي الدعاء عليه باللعن، كأن يقول "لَعَنَه الله" ونحو ذلك، فهـــٰذا كقتله.

[المتن]

وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ وَقِتَالُه كُفْرٌ)).

[الشرح]

((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوْقٌ)) وهـٰذا هو موضع الشاهد من الحديث للكبيرة، أنّ السباب -ومنه اللعن- فسوق، والفسق هو الخروج عن الطاعة، طاعة الله -عزَّ وجلَّ-.

قوله: ((وَقِتَالُه كُفْرٌ)) أي كفر أصغر، ليس بالكفر الأكبر الناقل من الملّة؛ لأنه لا ينتقل من الملّة بالقتل إلا إذا استحلّ قتل المسلمين، أما بمجرد القتل فإنه كفر دون كفر، وقد دلّت نصوصٌ على أن القاتل لا يكون كافرا، سبق الإشارة إلى بعضها.

[المتن]

وَقَالَ: ((لاَ يَكُوْنُ اللَّعَانُوْنَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ)) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[الشرح]

اللعانون وكذلك الطعانون مثل ما سيأتي معنا ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلاَ اللَّعَانِ)) اللَّعان: هو الذي يدعو على غيره باللعنة وبالشر، والطَّعان: هو الذي يخبر عن غيره بالشر، يعني يطعن فيه بالشر. ولاحظ الأمرين وهما منفيان عن المؤمن كما سيأتي: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلاَ اللَّعَانِ)).

اللعان: هو الذي يدعو على غيره بالشر، والطعان هو الذي يخبر عن غيره بالشر، يعني يطعن فيه بالشرّ.

قال -عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام-: ((لاَ يَكُوْنُ اللَّعَانُوْنَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ)).

لماذا؟ لأنّ الذي يكون يوم القيامة هو ما قام عليه الإنسان في الحياة الدنيا، فإذا كان الإنسان في الحياة الدنيا حَفظ لسانه من الطعن في الناس والشهادة عليهم بالشر وصان لسانه من الولوغ في أعراضهم والطعن فيهم والسخرية إلى غير ذلك، كان مؤهلا أن يكون شهيدا لهم يوم القيامة، شهيدا لهم في الخير، أما إذا كان يلِغ في أعراضهم ويطعن فيهم ويقدح، وصاحب هَمزٍ ولمزٍ فمثل هـٰذا ليس أهلا أن يكون يوم القيامة شهيدا لهم.

واللعان الذي يشتغل في الدنيا بلعن المسلمين ليس أهلا أن يكون يوم القيامة شفيعا لهم؛ لأنهم في الدنيا ما سلموا منه، لسانه يجري عليه لعنهم، فلا يصلح يوم القيامة أن يكون شهيدا؛ لأنّ الشهيد هو

الذي يُخبر عن غيره بالخير، والشفيع هو الذي يطلب له الخير ويدعو له بالخير، فمن كان في الدنيا طعّانا لعّانا ليس مؤهلا أن يكون يوم القيامة شهيدا شفيعا؛ لأنّه في الدنيا لم يكن كذلك، لم يكن في الدنيا إلا طعّانا و لم يكن إلا لعّانا. وهـٰذا المعنى اللّطيف الذي في هـٰذا الحديث نبّه عليه العلامة ابن القيّم –رَحِمَهُ اللهُ– في كتابه (الصواعق المرسلة).

[المتن]

وَقَالَ –عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام– : ((لا تَلاعَنُوا بِلَعنَةِ اللهِ وَلا بِغَضَبِ اللهِ وَلا بِالنَّار)).

[الشرح]

وهـٰذا يُعطينا أن مفهوم اللّعن ليس مقتصرا على هـٰذه اللفظة، كأن يقول القائل: "لعن الله فلانا" أو نحو ذلك، وإنما يشمل هـٰذه اللفظة، وكذلك دعاء بالغضب أو بالنار كأن يقول لغيره: "لعنه الله" أو يقول: "سخط الله عليه" أو "غضب الله عليه" أو "أحرقه الله بالنار"، "حرّم الله عليه الجنة"، أو نحو ذلك.

((لا تَلاعَنُوا بِلَعنَةِ اللهِ وَلا بِغَضَبِ اللهِ وَلا بِالنَّار)) فالمؤمن ليس هـٰذا من شأنه، إذا أُخطئ عليه، دعا على من أخطأ عليه باللعنة أو دعا عليه بالغضب أو بالسخط، أو دعا عليه بالحرمان من الجنة، أو دعا عليه بدخول النار؛ هـٰذا ليس من شأن رحمة الإسلام القائمة في قلوب المسلمين.

فإذن هـٰذا يدل على أن مفهوم اللعن واسع لا يقتصر على هـٰذه اللفظة.

[المتن]

وَقَالَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُوْنَ لَعَّانًا)).

[الشرح]

الصِدّيق: هي رتبة عَلِيّة من رُتب الدين ومترلة رفيعة فيه، فالصدِّيقيّة ليس من شأن أصحابها وأربابها اللعن، وإنما من شأن أصحابها صيانة اللسان وحفظه وشغله بذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يفيد.

[المتن]

وَعَنْهُ قَالَ: ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلاَ اللَّعَانِ وَلاَ الفَاحِشِ البَذِيء))حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

[الشرح]

قوله: ((لَيْسَ الْمُؤْمِنُ)) أي أنّ هـٰذه ليست من خصال أهل الإيمان، والمراد بأهل الإيمان أهل الإيمان الكامل الواسع، أما إذا نقص الإيمان وضعف، قد يقع في لسان من ضعُف إيمانُه ونقص إيمانه أمثال هـٰذه الألفاظ، مثل: اللعن والطعن ونحو ذلك.

وقوله: ((الطَّعَانِ .. اللَّعَانِ)) هـٰذه صيغة مبالغة، وصيغة المبالغة في الغالب يكون مقصودًا بها المبالغة، لكن قد تأتي صيغة المبالغة ولا يكون مرادًا بها المبالغة، مثل هـٰذا الحديث، فقوله: ((اللعان...الطعان)) ليس المراد نفي كثرة اللّعن واستدامته؛ بل نفي وجوده على ألسنتهم، فيكون المراد هنا: ليس بذِي لعن وليس بذِي طعن، يعني هو بعيد عن اللعن وبعيد عن الطّعن، ليس من صفاته مثل هـٰذا الأمر، وإن وقع منه شيء نادر واستغفر الله -عزَّ وجلَّ- وتاب لم يهبط من رتبته، هـٰذه الرتبة، رتبة الإيمان الكامل، إذا كان شيئا نادر وبادر إلى التوبة والاستغفار والدعاء بالخير، بدل هـٰذه الكلمة التي انفرطت من لسانه.

فإذن هنا المراد بقوله: ((الطَّعَانِ .. اللَّعَانِ)) أي ليس بذِي لعن وليس بذِي طعن، ومثله قوله -تعالى-: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ...﴾[فصلت:٤٦] الآية، هـٰذه صيغة مبالغة، لكن ليس المراد هنا المبالغة، وإنما المراد نفي الظلم أصلا، فالمعنى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ...﴾ أي ليس بذي ظلم.

((وَلاَ الفَاحِشِ البَذِيءِ)) يعني الفاحش في قوله، البذيء بلسانه، بكلماته السيئة وألفاظه النابية.

[المتن]

وَعَنْهُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ: فَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذَلِكَ وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا)) رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُدِ.

[الشرح]

هـٰذا يدل على أنّ اللعن في غاية الخطورة؛ هي ليست مجرّد كلمة تخرج من اللسان وانتهى الأمر، وإنما هي تصعد كما أخبر -عَلَيهِ الصَّلاة والسَّلام-، فإن لم تجد مساغا رجعت، ترجع هـٰذه الكلمة إلى من لُعن، فإذا كان أهلاً وإلا رجعت على صاحبها، يرجع اللعن على اللاعن نفسه، ولهـٰذا قد يكون بعض الناس يجلب لنفسه اللعن في اليوم عشرات المرات -والعياذ بالله-.

[المتن]

وَقَدْ عَاقَبَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الَّتِيْ لَعَنَتْ نَاقَتَهَا بِأَنْ سَلَبَهَا إِيَّاهَا، فَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ وَأَبُوْ بَرْزَةَ، وَالحَدِيْثُ لِعِمْرَانَ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُوْلُ اللهِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُوْلُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ((خُذُوْا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوْهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُوْنَةٌ)) قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[الشرح]

وهٰذا يدل على أنّ المسلم لا يحل له أن يلعن شيئا: لا الجمادات ولا الحيوانات، لا يحلّ له أن يلعن.

وهٰذه المرأة لما حرنت هٰذه الناقة وتمنّعت، تضجّرت منها وبادرت إلى هٰذه اللعنة، فقال النبي -صلّى اللهُ عليهِ وسلَّم-: ((خُذُوْا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوْهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُوْنَةٌ)) وهٰذا يدلنا على خطورة اللعنة وضررها.

[المتن]

وعن ابنُ لَهِيْعَةَ، عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ، عَنْ يَحْيَى بنِ النَّضْرِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: ((إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الْمُسْلِمِ فِي عِرْضِ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ)).

[الشرح]

((إِنَّ أَرْبَى الرِّبَا)) أي أخطره وأشدّه.

((اسْتِطَالَةُ الْمُسْلِمِ فِي عِرْضِ أَخِيْهِ الْمُسْلِمِ)) أن يتطاول على عرض أخيه بالنيل منه وقيعة وسبّا وسلبا.

هٰذا فيما يتعلّق بعموم اللّعن، وأمّا -والعياذ بالله- لعن الدّين أو لعن النبيّ الكريم -عليه الصّلاة والسّلام- أو ربّ العالمين فهٰذه ردّة عن الإسلام، مُحبطة للأعمال، ولا يُعذر فيها أحد، ولا يُقال: معذور جاهل، ما يُعذر أحد، وكلّ واحد يُدرك فظاعة هٰذا الأمر؛ ولهٰذا لا يكون لعن الدّين أو لعن الإسلام أو لعنُ ربِّ العالمين، لا يكون من مسلم، هٰذا لا يكون إلا من مرتدّ ليس بمسلم.

۞۞۞۞